حقيقة التوبة في الإسلام

د. حسين حيدر جاسم البخاتي
imamjawad.f.s.c@gmail.com
جامعة الامين/ كلية الفقه

الملخص

إن قضية التوبة من اهم القضايا التي اهتم بها المشرع من خلال الآيات والروايات التي ذكرها في القرآن الكريم وعن طريق السنة الشريفة على مشرفها التحية والسلام وتكمن أهميتها في رجوع الانسان المذنب إلى ساحة القدس والعفو الإلهي من خلال الاستغفار والتوبة إلى الخالق العظيم وبدورها تكون باب إلى الرقي والتكامل الأخلاقي والمعرفي ومن هنا كان البحث يحمل عنوان (حقيقة التوبة في الاسلام) فقد تناولنا جملة من الآيات والروايات التي تدل على مشروعية التوبة والاستغفار والاثر المترتب عليها إذا كانت توبة خالصة إلى الله تعالى وهذا هو المستفاد من النصوص الشرعية، فقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على وجوب التوبة على المذنبين، وسنذكر في طيات البحث جملة من هذه الآيات المباركة.

ومن اهم النتائج التي توصل اليها البحث ان لا قنوط من رحمة الله وان التوبة هي الباب الذي ليجأ اليه المذنب للخلاص من العقاب.

منهج البحث: فقد كان المنهج تحليلي لبعض الآيات والروايات التي وردت في القران والسنة الشريفة.

الكلمات المفتاحية: الحقيقة، التوبة، السلام، الآيات، الروايات.

The truth of repentance in Islam

Dr. Hussein Haider Jassim Al Bukhati
Al-Amin University/College of Jurisprudence

Abstract

The issue of repentance is one of the most important issues that the legislator has paid attention to through the verses and narrations that he mentioned in the Holy Qur'an and through the Noble Sunnah، on which salutations and peace be upon its supervisor. Its importance lies in the return of the guilty person to the square of Jerusalem and divine pardon through seeking forgiveness and repentance to the Great Creator، which in turn is a door to progress. And moral and cognitive integration.

Hence، the research was titled (The Truth of Repentance in Islam). We have discussed a number of verses and narrations that indicate the legitimacy of repentance and seeking forgiveness and the effect resulting from it if it is sincere repentance to God Almighty، and this is what is learned from the legal texts. Verses have been mentioned in the Holy Qur'an. There are many that indicate the necessity of repentance for sinners، and we will mention in the course of the research a number of these blessed verses.

One of the most important findings of the research is that there is no despair of God's mercy، and that repentance is the door to which the guilty resort to to escape punishment.

Research methodology: The method was analytical of some verses and narrations contained in the Qur'an and the Noble Sunnah.

Keywords: truth، repentance، peace، verses، narratives.

المبحث الأول

التوبة لغة واصطلاحا

التوبة لغة:

الرّجوع والإنابة: يقال: (تاب إلى الله يتوب توباً وتوبةً ومتاباً: إذا أناب ورجع عن المعصية إلى الطّاعة)[١]، فهو من: (تاب بمعنى: أناب).

وأصل التّوبة: (الرّجوع عمّا سلف، والنّدم على ما فرط).

وقال الفيومي(ت نحو ٧٧٠هـ): (تاب من ذنبه يتوب توباً وتوبةً ومتاباً: أقلع).

وقيل: التّوبة هي التّوب، ولكن الهاء لتأنيث المصدر.

وقيل: (التّوبة واحدة كالضّربة، فهو تائب...) [٢].

وقال الرّاغب (ت٥٠٢ هـ): (التّوب: ترك الذّنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الإعتذار، وهو: أن يقول المعتذر: فعلت وأسأت وقد أقلعت، وهذا هو التّوبة)[٣].

ويظهر من القاموس للفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) والتّاج للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ): (أنّ لـ(تاب) مصدرين آخرين غير ما ذكر من المصادر، وهما: تابة على وزن غابة، وتتوبة.

أمّا الأوّل: فيشهد له قول الشّاعر:

تبت إليك فتقبل تابتي وصمت ربّي فتقبل صامتي

وأمّا الثّاني: فهو من كتاب سيبويه (ت ١٤٠ هـ)، إلاّ أنّه شاذٌّ)[٤].

لكن جاء في لسان العرب لابن منظور الافريقي (ت ٧١١هـ) بعد أن ذكر المصادر الثّلاثة ما نصّه:

فأمّا قوله: (تبت إليك... إنّما أراد: توبتي وصومتي، فأبدل الواو ألفاً لضرب من الخفّة، لأنّ هذا الشّعر ليس بمؤسّس كلّه، ألا ترى أنّ فيها:

أدعوك يا ربّ من النّار التي أعددت للكفّار في القيامة

فجاء بالّتي وليس فيها ألف تأسيس)[٥]. التّوبة اصطلاحا:

فقد اختلفت كلماتهم في معناها على أقوال:

فقيل: (النّدم على الذّنب لكونه ذنباً، فخرج النّدم على شرب الخمر مثلاً لإضراره بالجسم)[٦]. وقد يزاد: مع العزم على ترك المعاودة أبداً.

والظّاهر: (أنّ هذا العزم لازم لذلك النّدم غير منفك عنه)[٧].

وقيل: (النّدم على المعصية لكونها معصية والعزم على ترك المعاودة في المستقبل، لأنّ ترك العزم يكشف عن نفي النّدم)[٨].

وقيل: (النّدم على القبيح في الماضي، والتّرك له في الحال، والعزم على عدم المعاودة إليه في الإستقبال)[٩].

وقيل: (ترك الذّنب لقبحه، والنّدم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة. فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التّوبة) [١٠].

وقيل: (النّدم على ما مضى من القبيح، والعزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح)[١١].

وقيل: (ترك المعاصي في الحال، والعزم على تركها في الإستقبال، وتدارك ما سبق من التّقصير)[١٢].

و هي تنسب للعبد تارة، ولله سبحانه تارة أخرى، وعند انتسابها للعبد يقصد بها رجوعه إلى ربه . عن المعصية إلى الطاعة . نادماً مستغفراً ذنبه.

أما انتسابها لله سبحانه فالمراد به رجوعه . جل ذكره . على عبده من العقوبة إلى العفو واللطف والتفضل عليه بقبول توبته والصفح عن زلته. وقد ذكر القرآن الكريم كلا المعنيين للتوبة في آيات متعددة منها قوله تعالى: **﴿لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾**[١٣].

وعرفها الشيخ الانصاري: (الرجوع إلى صراط الله المستقيم بعد الانحراف عنه)[١٤]، وهي عكس الاصرار على الذنب والجريمة، ومن هذا المنطلق عرفها علماء الاخلاق بقولهم (ترك المعاصي في الحال والعزم على الابتعاد عنها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في حق الله وحقوق الاخرين)، وقال الامام امير المؤمنين: (التوبة ندم بالقلب، واستغفار باللسان

والقصد على أن لا يعود)[١٥].

و هذا التعريف أفضل وأكمل بيان جامع وبليغ لحقيقة التوبة، وعليه المدار في البحث العلمي والفقهي والاخلاقي في دراسة العلماء لموضوع التوبة[١٦]، وعلى ضوء هذا التعريف الجامع لا يصح اعتبار الندم عنواناً تاماً لحقيقة التوبة، ومن فعل ذلك من علماء الاخلاق وقع في خطا كبير لان الندم هو أحد المراحل النفسية للتائب بل هو اولها وتاتي بعده مرحلة (ترك المعاصي) التي يصبح بها الإنسان حقا تائبا ثم (العزم على عدم العود إلى المعصية) التي تكشف عن الاخلاص في التوبة، فالندم وحده اذا ليس هو التوبة الكاملة على حقيقتها، بل هو دافع من دوافعها ومقوم من مقومتها، اما قول النبي (ﷺ) (الندم توبة) [١٧] فهو محمول على حث المذنبين وتشجيعهم على التوبة، وان كان بأضعف الحالات التي هي الندم وحده دون العزم على الترك، فهذه الحالة من الانابة إلى الله تعالى مع ضعفها فهي مقبولة، لانها من المؤمل ان تؤدي بالمذنبين النادمين إلى العزم للأقوى وهو التوبة الحقيقية التي من ورائها النية المخلصة والارادة الصلبة.

هذه بعض الكلمات في تعريف التّوبة إصطلاحاً، ويمكن تلخيصها بهذه الصّورة:

إنّه قال جماعة بأنّ التّوبة هي: النّدم على فعل المعصية لكونها معصية.

وقال آخرون بوجوب إضافة قيد: العزم على ترك المعاودة.

وأضاف آخرون: وجوب تدارك ما سبق من التّقصير في الأعمال إن أمكن.

المبحث الثاني

الخطيئة والتوبة في الإسلام

يعتبر الإنسان مذنبا يستحق العقوبة إذا توفرت فيه اربع صفات وشروط رئيسية حين إقدامه على المعصية [*] أو الجريمة، والتوبة تملا النفس بالامل وتقود القلب مصدر النور ولن تكون التوبة صحيحة مقبوله حتى تتحقق فيها شروط تثبت صدق التائب في توبه والشروط هي كما يلي[١٨]:

الشرط الأوّل: ان يكون المذنب قد بلغ سن التكليف الشرعي فاذا اقدم على المعصية قبل ذلك فلا يعد مذنبا، لانه غير مخاطب بالأحكام الشرعية حسب تعبير الفقهاء، نعم قد يتحمل . في الدنيا . بعض الاحيان مسؤولية ما ارتكبه من جرم أو اعتدى على حقوق الناس كما يقرر ذلك القضاء الإسلامي الذي رويت في احكامه وقوانينه مصلحة حفظ النظام الاجتماعي وتربية الفرد والمجتمع.

الشرط الثاني: ان يكون المذنب عالما بحرمة ما ارتكبه من جرم وما اقترفه من معصية، اما اذا كان ناسيا أو مشتبها أو جاهلا، وكان جهله من غير تقصير ولا اهمال فلا يعتبر مذنبا شرعا ولا يحاسبه الله تعالى يوم القيامة على فعله هذا، لان ذلك خلاف قاعدة اللطف بعباده، والتي هي

من صفاته الكمالية . جل ذكره . ﴿**وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير**﴾، نعم قد تناله بعض العقوبات القانونية في الدنيا انطلاقا من المصلحة الإسلامية التي اشرنا اليها في الشرط الاول.

الشرط الثالث: ان يكون المذنب عاقلا حين اقدامه على المعصية، وقد ارتكبها بكامل وعيه متوجها إلى ضررها قاصدا فعلها، وهو ما يعبر عنه في القانون الوضعي ارتكاب الجريمة مع سبق الاصرار.

و بهذا الشرط يسقط العقاب عن المجنون وما شابهه والمكره وما يلحق به، لان الأوّل يفتقر إلى العقل، والثاني لم يكن قاصدا المعصية، بل لم يقدم عليها بملء ارادته.

الشرط الرابع: ان يكون المذنب مضطرا إلى ارتكاب المعصية والتلبس بالجريمة ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾ [١٩].

و لهذا لا تقطع يد السارق اذا سرق من اجل دفع جوعته [٢٠]، ولا يقام الحد على من شرب الخمر لحفظ نفسه من هلاك العطش أو من مرض شديد[٢١].

فاذا تمت هذه الشروط في مرتكب الجرم وقت تلبسه به يصبح حينئذ مذنبا من جهة شرعية، وتجب عليه المبادرة للتوبة.

ويستدل فقهيا على ضرورة توفر هذه الشروط فيمن يسمى عاصيا بالنصوص الشرعية المعتبرة، والتي منها قوله سبحانه: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أو أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[٢٢].

و قوله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أهل بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٢٣].

وقوله تعالى: ﴿**مَن كَفَرَ بِالله مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ الله وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[٢٤].

وروي عن أهل البيت (عليهم السلام) احاديث كثيرة تشير إلى هذه الشروط، واهمها ما ورد عن رسول الله (ﷺ) في حديث الرفع الذي قال فيه: (رفع عن امتي اربع خصال: خطاؤها ونسيانها وما اكرهوا عليه، وما لم يطيقوا، وذلك قول الله ﷻ: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أو أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[٢٥]، وقوله ﴿**مَن كَفَرَ بِالله مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ الله وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾)[٢٦].

وفي حديث عن رسول الله (ﷺ) جاء فيه: **(وضع عن امتي تسع خصال: الخطأ والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا اليه، وما استكرهوا عليه والطيرة والوسوسة في التفكر**

في الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد)[٢٧].

وجوب التوبة على المذنبين:

إذا أقدم الإنسان على المعصية، وكان بالغا عاقلا بحرمة ما ارتكبه غير مضطر اليه ولا مجبور عليه... أي اقدم على الحرمة في ظرف كانت تتوفر فيه جميع الشروط التي ذكرناها سابقا... يعتبر حينئذ عاصيا وتصبح التوبة واجبة عليه بدليلين:

الاول: الدليل الشرعي:

و هو المستفاد من النصوص الشرعية، فقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على وجوب التوبة على المذنبين، وسنذكر هنا جملة من هذه الآيات المباركة.

قال الله سبحانه: ﴿**وَتُوبُوا إلى الله جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون**﴾[٢٨].

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى الله تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي الله النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [٢٩].

و هاتان الآيتان يظهر منهما توجيه الخطاب إلى المذنبين من المؤمنين، اما المجرمون فان الله سبحانه كثيرا ما كان يحذرهم في آياته عذابا اليما وينذرهم عاقبة اعمالهم السيئة، ثم يدعوهم إلى التوبة، وقد لوحظت هذه اللهجة في مخاطبته سبحانه للمجرمين في اكثر الآيات التي تتحدث عن كبائر الذنوب واعمال المجرمين البشعة، منها قوله (ﷻ): ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**﴾[٣٠]. ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[٣١].

وعلى ضوء هذه الآيات القرآنية وغيرها من النصوص الشرعية وادلة استنباط الحكم الشرعي الاخرى استفاد الفقهاء الاحكام الشرعية المتعلقة بالتوبة، فحكموا بوجوبها على كل من خالف امرا أو ارتكب حرمة ورد حكمها في الإسلام، وكان بالغا عاقلا غير مضطر ولا مجبور على المعصية، وعلى ضوء هذه الأدلة حدد الامام الخميني(قدس) احكام التوبة في رسالته العملية، فقال: (من واجبات التوبة من الذنب، فلو ارتكب حراما أو ترك واجبا تجب التوبة فورا، ومع عدم ظهورها منه وجب امره بها، وكذا لو شك في توبته، وهذا غير الامر والنهي بالنسبة إلى سائر المعاصي، ولكن يجب بالنسبة إلى ترك التوبة)[٣٢].

و كما ان التوبة واجبة على المذنب فورا . كما يظهر من كلام الأمام . كذلك يجب على كل مسلم قد علم بشخص مرتبك للمعاصي ان ينهاه عن ذلك، ويأمره بالتوبة، ولا يحق له ان يتساهل في هذه المسؤولية ويترك العاصي حتى يتأكد من توبته.

ومن الملفت للنظر هنا حقا، ان الامام الخميني(قدس) قد اعطى الامر بالمعروف والنهي عن

المنكر –المتعلقان بترك التوبة– حكما استثنائيا عن بقية المنكرات الأخرى، فان سائر المنكرات –في نظره– لو احتمل المسلم بان مرتكبها مصرا على فعلها لا يجب عليه ان يبادر إلى زجره ونهيه عنها، الا إذا علم وقطع بأنه يريد ان يرتكبها فعلا[٣٣]، على عكس من ترك التوبة، فيجب عليه ان يأمره بالتوبة على أي حال، حتى لو شك بعدم توبته، فاذا عرفت شخصا مذنبا واحتملت انه قد تاب، فان هذا الاحتمال لا يسقط وجوب امرك له بالتوبة، بل يجب عليك ان تامره بها ولا تتركه حتى تعلم انه قد تاب فعلاً. حيث قال القرطبي : واتفقت الامه على ان التوبة فرض على المؤمنين ، وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال والازمان : [٣٤].

الثاني: الدليل العقلي

لا شك ان التوبة ربطت باسماء الله سبحانه وتعالى فهو عظيم الشرف بقوله تعالى : (هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [٣٥].

وبيان ذلك انه يعفى عنهم ذنوبهم مع صفتي المغفرة والمؤدة بقوله تعالى: ﴿**هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ**﴾[٣٦].

قال الطبري : ان الله جل ثنائه هو التواب على من تاب اليه من عباده المذنبين من ذنوب[٣٧]:

وهنا به على وجوب التوبة على المذنبين، وخلاصته: انه لا ريب في وجوب التوبة على المذنبين فورا، لان الذنوب بمنزلة السموم المضرة بالبدن، وكما يجب على شارب السم المبادرة إلى الاستفراغ وتناول الدواء لإنقاذ نفسه المشرفة على الهلاك، كذلك يجب على صاحب الذنوب المبادرة إلى التوبة لينقذ حياته من اضرار المعاصي في الدنيا وعواقبها المخزية في الاخرة.

ومن اهمل المبادرة إلى التوبة وسوف الاقدام عليها بالتأجيل والتأخير من وقت إلى اخر فهو بين خطرين عظيمين ان سلم من احدهما فانه لا يسلم من الأخر قطعا، وهما:

أ– ان تتراكم على قلبه ظلمات المعاصي إلى ان تصير رينا وطبعا، كما قال الله سبحانه في كتابه المجيد ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُون**﴾[٣٨].

وكما روي عن أهل البيت (عليهم السلام) بان كل معصية يفعلها الإنسان يحصل منها ظلمة في قلبه، كما يحصل من البخار ظلمة على وجه المرآة، فاذا تراكمت الذنوب صارت رينا كما يتحول البخار عند تراكمه على المرآة صدا، وقد يعبر عن صاحب هذا القلب بالقلب المنكوس، كما جاء ذلك عن الامام الصادق (عليه السلام) كذلك في قوله: **(ما من شيء افسد للقلب من خطيئة، ان القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله)**[٣٩].

و روي عن الامام محمد الباقر(عليه السلام) كذلك انه قال: (ما من عبد الا وفي قلبه نكتة بيضاء، فاذا اذنب ذنبا خرج من النكتة نكتة سوداء، فان تاب ذهب ذلك السواد، وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض ولم يرجع صاحبه إلى خير ابدا، وهو قول الله (عز وجل): ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُون**﴾[٤٠].

وقوله (عليه السلام): (لم يرجع صاحبه إلى خير ابدا) يدل على ان صاحب هذا القلب لا يرجع عن المعاصي ولا يتوب منها ابدا، ولو قال بلسانه (تبت إلى الله) يكون قوله هذا مجرد تحريك اللسان من دون موافقة القلب، فلا اثر له اصلا، اعاذنا الله سبحانه من ذلك.

ب- ان يعالجه الاجل فلا ينتبه من غفلته الا وقد حضرته ساعة الموت وفاته وقت التدارك وانسدت بوجهه ابواب التلافي، وقد جاء الوقت الذي اشار اليه سبحانه بقوله: ﴿**وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ**﴾ [٤١] وصار يطلب المهلة والتاخير يوما أو ساعة، فيقال له: ليس لك ذلك.

قال الله (عز وجل): ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ الله وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون * وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِين * وَلَن يُؤَخِّرَ الله نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَالله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون**﴾ [٤٢].

ان المحتضر يقول عند حضور ملك الموت: (يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه إلى ربي واتوب اليه واتزود صالحا، فيقول: فنيت الايام، فيقول: اخرني ساعة، فيقول: فنيت الساعات)[٤٣]، فيغلق باب التوبة بوجهه ويتركه يتجرع غصة الياس وحسرة الندامة على تضييع العمر، وربما اضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال نعوذ بالله تعالى من ذلك، ونستجير به من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا... ولهذا كان لقمان الحكيم يقول لابنه: (يا بني لا تؤخر التوبة، فان الموت يأتي بغتة)[٤٤].

وجوب التوبة على الجميع

قال تعالى : ﴿**وتوبوا إلى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ [٤٥].

وقال النبي (صلى الله عليه وآله) : (**يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مئة مرة**) [٤٦].

روي عن الامام الصادق (عليه السلام) في مصباح الشيعة: (التوبة حبل الله ومدد عنايته، ولابد للعبد من مداومة التوبة على كل حال، وكل فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الانبياء من اضطراب السر، وتوبة الاولياء من تلوين الخطرات وتوبة الاصفياء من التنفيس، وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله تعالى، وتوبة العام من الذنوب، ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره)[٤٧].

وإذا أردنا تفسيرا مقبولا لهذا الخبر فيمكن فهمه على ان: التوبة مظهر من مظاهر التكامل الروحي والمعنوي للإنسان، فالتكامل حاجة إنسانية عامة يقصدها حتى الأنبياء، وهذا دليل على كمال الله سبحانه وحده أما البشر فهم جميعا ناقصون بالنسبة إليه سواء كان منهم الأنبياء أو الأولياء أو الأوصياء فهم جميعا بحاجة دائمة إلى عناية الله ورحمته، ومن الطبيعي ان تختلف عند البشر درجات النقص التي تؤدي بهم إلى الخطيئة، وذلك حسب درجة إيمانهم ومستوى التزامهم بأحكام الله سبحانه ويقينهم برسالاته وآثاره، ولكنهم جميعا يستطيعون ان يسدوا هذا

النقص بالتوبة كما أشار إلى ذلك الإمام الصادق(عليه السلام) .

دوافع التوبة ومقوماتها:

التوبة وقفة تأمل وجدانية هادفة، تبدا بهزة ضميرية عنيفة تنطلق من التفكير بإضرار الذنوب في الدنيا وعواقبها المخزية في الآخرة...

وتنتهي بقرارات داخلية صارمة يتخذها المذنب ضد نفسه الأمارة بالسوء ثم يترجمها بعد ذلك إلى سلوك ظاهر صالح، وحياة عامرة بالإيمان والاستقامة، ولا يمكن ان تولد هذه الوقفة الحاسمة في حياة المذنبين البعيدين عن الله إلا بعد ان تتوفر في نفوسهم مقومات رئيسية ثلاثة، وهي:

١- العلم بضرر الذنوب:

ان حقوق الناس اذا لم ترد إلى اصحابها في الدنيا ستكون سببا في دخول النار ، يقول النبي (ﷺ) : **(من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة ، فقال له رجل وان كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟؟ قال ان كان قضيب من اراك)**[*]

فعندما يتعرف الإنسان المذنب على مساوئ سيئاته ومضارها على حياته في الدنيا والآخرة، كما تحدثت عنها الآيات والروايات.. ويعلم أيضا بنتائجها المدمرة عليه وعلى أعضاء أسرته من جهة تربوية، وانها تسبب النيل من سمعته وسخط المؤمنين عليه، ونبذهم إياه وعدم مراعاتهم لحرمته، حيث يجوز لهم غيبته، اذ لا غيبة للفاسقين، كما تسبب سخط الله سبحانه عليه وغضبه الذي يتجسد أحيانا بنزول النقم وقطع النعم وحبس الدعاء وحلول البلاء.. وفي مواقف يوم الحساب العصيبة نتيجة أعماله السيئة.

حينما يعلم المذنب بكل هذه الاضرار للذنوب سوف يتألم على ما اقترف من سيئات ونتيجة لهذا الألم النفساني تحدث عنه يقظة ضميرية وتحصل لديه حالة نفسية تسمى (بالندم).

٢- الندم على ارتكاب المعاصي:

أي ان يندم المذنب على فعله اذ من لم يندم على القبح فذلك دليل على رضا به واصراره عليه[٤٨]، واعتبر الامام النووي (الندم ركن التوبه الاعظم) [٤٩]. وفسر التوبة بالندم حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) رفعه (الندم توبة)[٥٠]. والندم هو الركن الاعظم في التوبة وليس التوبة نفسها[٥١].

والندم يقظة ضميرية واعية، وهزة وجدانية عنيفة تحدث في داخل الإنسان فتستقطب مشاعره وتفكيره، وهي تأتي بعد معرفة اضرار الذنوب ونتيجة لهذه المعرفة تشتعل نيران الندامة في القلب ويشتد لهيبها بأحد عاملين رئيسيين أو بكليهما معا، وهما:

أ - الخوف من عقاب الله سبحانه في الدنيا والآخرة.

ب- حب التقرب إليه جل شانه.

فإذا استولت مشاعر الندم على القلب انبعث منها حالة أخرى جديدة تعرف (بالإرادة المصممة الصلبة).

٣- الإرادة القوية المصممة الصلبة:

والارادة هو العزم وعدم العودة إلى الذنب بحيث لا يبقى عنده تردد في المعاودة اليه[٥٢].

وتوجد هذه الإرادة بعد الوضوح الفكري والعقائدي لمخاطر الذنوب وبعد حالة الندم المستعرة في الوجدان عند ذلك تنتفض الإرادة لتترجم ثورة الضمير والوجدان إلى عملية تغيير وانقلاب شامل في حياة الإنسان.. فيبدأ المذنب بالتفكير في تغيير خلجاته النفسية وأفكاره الداخلية، وممارساته اليومية ليضعها في خط العودة إلى الله سبحانه، والالتزام بعقيدته ورسالته اليومية، وهو في كل ذلك معتمدا على إرادته القوية المصممة، متوكلا على الله، وبهذه الإرادة الصلبة يتخذ قرارات حاسمة شديدة وهادفة مع نفسه، يعتمدها كبرنامج عملي تربوي ترويضي لحياته الجديدة بعد التوبة، وأهم هذه القرارات ثلاث (ترك الذنوب في الحاضر) و(العزم على تركها في المستقبل) و(الاشتغال بتلافي تبعات الذنوب الماضية).

وقد أشار الشيخ النراقي في جامع السعادات إلى مقومات التوبة الثلاث والى القرارات التربوية التي يتخذها المذنب في كلام مختصر قال فيه: (العلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاث معان مترتبة في الحصول يطلق اسم (التوبة) على مجموعها) [٥٣].

فالتائب –إذا– إنسان علم بإضرار ظلمة الذنوب على نفسه وعرف انها مبعدة له عن ساحة قدس الله تعالى، وانها تعرضه لسخطه وانتقامه، وتقوده إلى جهنم، فندم على ما فرط في ماضيه وعزم على ترك المعاصي بإرادة قوية وتصميم شديد على عدم العود إلى ما كان عليه من انحراف عن خط الدين وابتعاد عن رب العالمين، وبدا حياة جديدة عامرة بالتقوى والعمل الصالح.

قبول توبة المذنبين

إذا رجع المذنب إلى ربه، نادما على ما فرط في جنبه، قبل الله تعالى توبته وتجاوز عن خطيئته وغفر زلته ﴿**فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا**﴾[٥٤]، وقد ذكر سبحانه قبوله لتوبة المذنبين في أكثر من مرة، فقال: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[٥٥]. وقال: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمِ**﴾[٥٦]. وقال: ﴿**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ**﴾ [٥٧]. وقال: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمِ**﴾[٥٨].

ومما روي عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) في قبول توبة المذنبين ما رواه محمد بن مسلم، عن الإمام محمد الباقر(عليه السلام)، حينما قال له: (يا محمد بن مسلم: ذنوب المؤمن اذا تاب منها مغفورة له، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، اما والله انها ليست إلا لأهل الإيمان، قلت فان عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة؟ فقال: يا محمد بن مسلم أتري العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته؟ قلت: فانه فعل ذلك مرارا

يذنب ثم يتوب ويستغفر الله، فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة، وان الله غفور رحيم، يقبل الله التوبة ويعفو عن السيئات، فإياك ان تقنط المؤمن من رحمة الله)[٥٩].

وكان زين العابدين(عليه السلام) يقول في دعائه: (... يا من عود عباده قبول الإنابة، ويا من استصلح فاسدهم بالتوبة)[٦٠].

قبول التوبة لطف الهي :

ان قبول الله تعالى لتوبة المذنبين العاصين من عباده مظهر من مظاهر لطفه وكرمه، حيث يتجلى لطفه سبحانه دائما في تسيير كل ما من شانه ان يقترب عباده منه ويبعدهم عن ساحة غضبه، تحننا منه عليهم ورأفة بهم، فلا يكلفهم فوق طاقتهم ﴿**رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾[٦١]، ولا يسد امامهم أبواب الرجوع إليه بعد التمرد عليه، فيكون سببا لغيهم وطغيانهم وبعدهم عن ساحة رحمته، حاشا له ذلك وهو الذي كتب على نفسه الرحمة ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [٦٢] تلطفا منه بعباده الذين يعلم ضعفهم ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرِ﴾ [٦٣] ومن لطفه ورحمته ان أعطى عهدا للمذنبين بقبول توبة من رجع منهم إليه مخلصا في إنابته نادما على جنايته، فقال سبحانه لنبيه الكريم: ﴿**وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٦٤]، وقال:﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[٦٥].

فالآيات هنا تشير إلى معنى وجوب قبول التوبة على الله سبحانه تجاه عباده المذنبين التائبين، وتوضح بان هذا الوجوب ليس وجوبا مفروضا عليه، ولا العقل الإنساني يعينه له، وانما هو سبحانه كتب هذا الوجوب على نفسه، وهذا هو المعني الحقيقي لوجوب قبول التوبة على الله سبحانه تجاه عباده، وهكذا يجب ان نفهم معنى وجوب كل ما يجب عليه سبحانه تجاه عباده.

شروط قبول التوبة:

قال الله (ﷻ): ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[٦٦].

وعلى ضوء هذه الآية الكريمة فان شروط التوبة الثلاث، وهي:

الشرط الأوّل: ان يكون التائب قد ارتكب معصية عن جهالة، ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [٦٧]، وحالة الجهالة في اقتراف المعاصي، هي: ان يأتي الإنسان بالمعاصي بسبب ضغوط الشهوة وغلبة الضعف فيقدم عليها من غير عناد مع الحق ولا إصرار على ما فعل من فاحشة،

كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أو ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (٦٨).

و هذه الآية تشير إلى صفة نفسية تعتبر من ابرز صفات أصحاب ذنوب الجهالة وهي: انهم حينما ينتمون من عمل الفاحشة يقعون رأسا فريسة لعذاب الضمير وتأنيب محكمة الوجدان مما يجعلهم يتوبون بسرعة إلى الله سبحانه ويطلبون منه الصفح والمغفرة على حياء مما فعلوا ويستفاد من هذه الآية ان كل مذنب يتصف بهذه الصفة النفسية ان تاب: ﴿**يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ (٦٩).

والى هذا النمط من الطبيعة البشرية التي تعتريها حالات الضعف أو الجهالة فتقدم على المعصية من غير تحدي لله ولا إنكار لآياته ولا جحود برسالاته اشار الله سبحانه في قوله: ﴿**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(٧٠).

اما الذين يقترفون الآثام والجرائم عن عناد مع الحق وإصرار على الباطل واستكبار على الله تعالى، كما فعل يزيد بن معاوية، وعمر بن سعد والحجاج، والشاه المقبور، وصدام التكريتي وأمثالهم من جناة التاريخ ومجرمي الإنسانية، فان هؤلاء وأمثالهم لا تقبل توبتهم، لأنهم كفروا بالله بعد إيمانهم وحاربوا أولياء الله، ونكلوا بهم اشد التنكيل، فليس لهم بعد ذلك توبة عند الله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ**﴾(٧١)، بل ان هؤلاء الجناة لا يوفقون للتوبة أبدا، وذلك بسبب تراكم الخطايا والجرائم . التي . اقترفوها . على قلوبهم فصارت متكلسة بأدران السيئات متحجرة بأوساخ الآثام مما جعلها اشد قسوة من الحجارة، فهذه القلوب الصلدة السوداء لا يمكن ان تقبل ومضات الهدى وشعاع نور الإيمان، فضلا عن التوبة المخلصة النصوحة.

ان من ابرز الصفات النفسية لهؤلاء الجناة المجرمين الكبار هو عدم شعورهم بوخز الضمير وتأنيب محكمة الوجدان حينما يفرغون من ارتكاب أبشع الجرائم وأشدها فظاعة، ويعلل القرآن الكريم هذه الظاهرة النفسية لهم، بان قلوبهم تطبعت على الجريمة، والفت المنكرات وتعودت على اقتراف الجرائم، فان عليها ما كانوا يكسبون من آثام...

الشرط الثاني: ان لا يتوب المذنب عندما يري علائم الموت قد أحاطت به، كما فعل فرعون الطاغية حينما أطاحت به أمواج البحر من كل صوب فرأى شبح الموت يلوح بين عينيه منذرا بقرب نهايته، فأعلن توبته.. فهذه التوبة مرفوضة لأنها توبة المضطر، توبة من ليس لديه متسع من العمر لارتكاب الذنوب، فهي غير مقبولة لأنها لا تنشئ صلاحا في النفس، ولا تأثيرا لها في الحياة، بل لا فائدة لها بعد أن انتهت فرصة الاستفادة من العمر وصاحبها يعاين ملك الموت وهو قادم لقبض روحه.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٧٢).

اما الذين يتوبون إلى الله (من قريب) على حد تعبير القرآن، فأن توبتهم مقبولة، لأنهم أنابوا إلى الله تعالى مخلصين نادمين قبل أن تتبين لهم سكرات الموت، وقبل أن يحسوا انهم على عتباته، فهؤلاء صادقون في توبتهم مخلصون في إنابتهم، وإلى هذا الصنف من المذنبين أشار الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث رواه عن آبائه عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: (قال رسول الله: من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال: أن السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته، ثم قال: أن الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته، ثم قال: أن الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم، قبل الله توبته، ثم قال: أن يوما لكثير، من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته)(٧٣).

وقبول التوبة قبل المعاينة كناية عن التوبة قبل معرفة علائم الموت.

ويظهر من الآية الشريفة ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ...**﴾ والرواية ان قبول المعاينة مشروط بعدم علم التائب بعلائم الموت، فان تاب وفقا لهذه الشروط فتوبته مقبولة حتى لو وقعت قبل الموت بلحظات، على العكس من توبة من يعلم انه سيموت، فتوبته مرفوضة، وان كانت قبل الموت بساعات، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ان معنى التوبة هو العزم على عدم العود إلى الذنب . كما عرفنا سابقا . وهذا العزم موجود في توبة من يتوب قبل الموت بلحظات، مع عدم علمه بأنه سيموت، بينما هو غير متحقق في توبة من يعلم بانه سيموت بعد ساعات، لان العزم على عدم العود يتطلب منه ان يكون موجودا في الدنيا بعد التوبة، بينما هو يعلم بأنه على أبواب الرحيل إلى الآخرة، فهذا وان عزم على عدم العود إلى المعصية بعد التوبة فهو على علم بانه لا فرصة لديه ليعبر عن هذا العزم تعبيرا عمليا يكشف عن إخلاصه في توبته.

ولكن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فرقوا في أحاديثهم بين من يتوب في حال الاحتضار وعند معرفة علائم الموت وهو عالم بأحكام الإسلام، ومع ذلك يرتكب السيئات عن عناد وإصرار... وبين من يرتكب المعصية وكان جاهلا بالأحكام، فاعتبروا توبة الأخير حال معرفة علائم الموت مقبولة، بعكس توبة العالم بالأحكام، كما جاء في رواية زرارة، عن الإمام محمد الباقر(عليه السلام)، وقال: (إذا بلغت النفس هذه . وأهوى بيده إلى حلقه . لم يكن للعالم توبة، وكانت للجاهل توبة)(٧٤).

فلا ينبغي للمسلم الملتزم . إذن . ان يتساهل ويتسامح في الإقدام على التوبة إلى درجة يؤدي إلى تأخيرها فتفوت عليه الفرصة بحضور الموت، فان الله تعالى لا يقبل توبة إلا من قلوب قد هزها الندم من الأعماق ورجها رجا عنيفا حتى استفاقت فتابت إليه سبحانه بعد ان استجدت عندها رغبة حقيقية في التطهر من دنس المعاصي، وهي في فسحة من العمر.

الشرط الثالث: ان لا يتمادى المذنب في كفره وعصيانه، حتى يموت وهو كافر ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [٧٥]، وبما انه لا معنى لتوبة المذنبين بعد الموت، فيفهم من الآية إذن ان المقصود من عدم قبول توبة المذنبين وهم كفار هو عدم رجوع الله تعالى على الكافر المعاند باللطف والمغفرة يوم القيامة.

وهذا هو احد معاني التوبة المنسوبة لله تعالى تجاه عباده فان توبته جل ذكره تجاههم عامة تشملهم في الدنيا والآخرة، لأنه المطلق الذي لا تحده حدود، وهذا يعني ان الله سبحانه سوف يتلطف بالعفو والمغفرة على بعض عباده من المذنبين بعد الممات ويمكن ان نعتبر قبوله سبحانه لشفاعة الشافعين لبعض المذنبين مظهرا من مظاهر هذا اللطف ولونا من ألوان التوبة الربانية على بعض المذنبين من عباده بعد الحياة الدنيا، ولكن هذه التوبة الإلهية لا تشمل الذين يموتون وهم كفار حسب هذا الشرط الأخير للتوبة.

هذه هي شروط قبول التوبة كما ذكرتها الآية، اما الآتيان بما يستتبعه الذنب من قضاء الفرائض الفائتة كالصلاة والصيام وأداء الحقوق المفروضة من خمس وزكاة ووكذلك أداء حقوق الناس، كرد الأموال المسروقة أو المغصوبة والتمكين من القصاص ونحو ذلك فإنها كلها ليست من شروط قبول التوبة، بل هذه واجبات برأسها والتوبة صحيحة ومقبولة بدونها.

اما العمل الصالح بعد التوبة الذي ختم القرآن . في الدعوة إليه . أكثر آيات التوبة فهو ليس من شروط كمالها، ومن خصائص الاستقامة عليها.

التوبة في أدعية أهل البيت (عليهم السلام):

ونذكر مثالا على ذلك الدعاء الرائع للإمام السجاد في الصحيفة السجادية المباركة، وكان من دعاء الإمام السجاد(عليه السلام) في ذكر التوبة وطلبها وهو الدعاء الحادي والثلاثون في الصحيفة السجادية:

(اللهمَّ يَا مَنْ لا يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِينَ، وَيَا مَنْ لاَ يُجَاوِزُهُ رَجَاءُ الرَّاجِينَ، وَيَا مَنْ لاَ يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ، وَيَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَى خَوْفِ الْعَابِدِيْنَ، وَيَا مَنْ هُوَ غَايَةُ خَشْيَةِ الْمُتَّقِينَ، هَذا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ، وَقَادَتْهُ أَزِمَّةُ الْخَطَايَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرْتَ بِهِ تَفْرِيطاً، وَتَعَاطى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ تَعْزِيراً، كَالْجاهِلِ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ، أو كَالْمُنْكِرِ فَضْلَ إحْسَانِكَ إلَيْهِ، حَتَّى إذَا انْفَتَحَ لَهُ بَصَرُ الْهُدَى، وَتَقَشَّعَتْ عَنْهُ سَحَائِبُ الْعَمَى أَحْصَى مَا ظَلَمَ بِهِ نَفْسَهُ، وَفَكَّرَ فِيمَا خَالَفَ بِهِ رَبَّهُ، فَرَأى كَبِيْرَ عِصْيَانِهِ كَبِيْراً، وَجَلِيل مُخالفَتِهِ جَلِيْلاً، فَأَقْبَلَ نَحْوَكَ مُؤَمِّلاً لَكَ، مُسْتَحْيِياً مِنْكَ، وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إلَيْكَ ثِقَةً بِكَ، فَأَمَّكَ بِطَمَعِهِ يَقِيناً، وَقَصَدَكَ بِخَوْفِهِ إخْلاَصاً، قَدْ خَلاَ طَمَعُهُ مِنْ كُلِّ مَطْمُوع فِيهِ غَيْرِكَ، وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُور مِنْهُ سِوَاكَ، فَمَثَّلَ بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَضَرِّعاً، وَغَمَّضَ بَصَرَهُ إلى الارْضِ مُتَخَشِّعاً، وَطَأْطَأَ رَأسَهُ لِعِزَّتِكَ مُتَذَلِّلاً، وَأَبَثَّكَ مِنْ سِرِّهِ مَا

أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ خَضُوعاً، وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ مَا أَنْتَ أَحْصَى لَهَا خُشُوعاً وَاسْتَغَاثَ بِكَ مِنْ عَظِيمِ مَا وَقَعَ بِهِ فِي عِلْمِكَ وَقَبِيحِ مَا فَضَحَهُ فِي حُكْمِكَ مِنْ ذُنُوب أَدْبَرَتْ لَذَّاتُهَا فَذَهَبَتْ، وَأَقَامَتْ تَبِعَاتُهَا فَلَزِمَتْ، لا يُنْكِرُ يَا إِلهِي عَدْلَكَ إِنْ عَاقَبْتَهُ، وَلا يَسْتَعْظِمُ عَفْوَكَ إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ وَرَحِمْتَهُ ; لِإِنَّكَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ الَّذِي لا يَتَعَاظَمُهُ غُفْرَانُ الذَّنْبِ الْعَظِيم.

اللهمَّ فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُكَ مُطِيعاً لِإِمْرِكَ فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ، مُتَنَجِّزاً وَعْدَكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الاجَابَةِ إِذْ تَقُولُ ﴿اُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

اللهمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَالْقِنِي بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقِيتُكَ بِإِقْرَارِي وَارْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ كَمَا وَضَعْتُ لَكَ نَفْسِي وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِكَ كَمَا تَأَنَّيْتَنِي عَنِ الانْتِقَامِ مِنِّي.

اللهمَّ وَثَبِّتْ فِي طَاعَتِكَ نِيَّتِيْ، وَأَحْكِمْ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيرَتِي، وَوَفِّقْنِي مِنَ الاَعْمَالِ لِمَا تَغْسِلُ بِهِ دَنَسَ الخَطَايَا عَنِّي، وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّد ⧖ إِذَا تَوَفَّيْتَنِي.

اللهمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِي وَصَغَائِرِهَا وَبَوَاطِنِ سَيِّآتِي وَظَوَاهِرِهَا، وَسَوالِفِ زَلاَّتِي وَحَوَادِثِهَا، تَوْبَةَ مَنْ لا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَة، وَلاَ يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَة، وَقَدْ قُلْتَ يَا إِلهِي فِي مُحْكَمِ كِتابِكَ إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ، وَتَعْفُو عَنِ السَّيِّئَآتِ، وَتُحِبُّ التَّوَّابِينَ، فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ وَأَعْفُ عَنْ سَيِّآتِي كَمَا ضَمِنْتَ، وَأَوْجِبْ لِي مَحَبَّتَكَ كَمَا شَرَطْتَ، وَلَكَ يَا رَبِّ شَرْطِي أَلاّ أَعُودَ فِي مَكْرُوهِكَ، وَضَمَانِي أَلاّ أَرْجِعَ فِي مَذْمُومِكَ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجُرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ.

اللهمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِمَا عَمِلْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا عَلِمْتَ، وَاصْرِفْنِي بِقُدْرَتِكَ إِلى مَا أَحْبَبْتَ.

اللهمَّ وَعَلَيَّ تَبِعَاتٌ قَدْ حَفِظْتُهُنَّ، وَتَبِعَاتٌ قَدْ نَسيتُهُنَّ، وَكُلُّهُنَّ بِعَيْنِكَ الَّتِي لاَ تَنَامُ، وَعِلْمِكَ الَّذِي لا يَنْسَى فَعَوِّضْ مِنْهَا أَهْلَهَا وَاحْطُطْ عَنِّي وِزْرَهَا، وَخَفِّفْ عَنِّي ثِقْلَهَا، وَاعْصِمْنِي مِنْ أَنْ أُقَارِفَ مِثْلَهَا.

اللهمَّ وَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِي بِالتَّوْبَةِ إِلاَّ بِعِصْمَتِكَ، وَلا اسْتِمْسَاكَ بِي عَنِ الْخَطَايَا إِلاَّ عَنْ قُوَّتِكَ، فَقَوِّنِي بِقُوَّة كَافِيَة، وَتَوَلَّنِي بِعِصْمَة مَانِعَة.

اللهمَّ أَيُّما عَبْد تَابَ إِلَيْكَ وَهُوَ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ فَاسِخٌ لِتَوْبَتِهِ وَعَائِدٌ فِي ذَنْبِهِ وَخَطِيئَتِهِ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُوْنَ كَذلِكَ، فَاجْعَلْ تَوْبَتِي هَذِهِ تَوْبَةً لا أَحْتَاجُ بَعْدَهَا إِلى تَوْبَة، تَوْبَةً مُوجِبَةً لِمَحْوِ مَا سَلَفَ، وَالسَّلاَمَةِ فِيمَا بَقِيَ.

اللهمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ جَهْلِي، وَأَسْتَوْهِبُكَ سُوْءَ فِعْلِي، فَاضْمُمْنِي إِلى كَنَفِ رَحْمَتِكَ تَطَوُّلاً، وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِ عَافِيَتِكَ تَفَضُّلاً.

اللهمَّ وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ إِرَادَتَكَ أو زَالَ عَنْ مَحَبَّتِكَ مِنْ خَطَرَاتِ قَلْبِي وَلَحَظَاتِ عَيْنِي وَحِكَايَاتِ لِسَانِي، تَوْبَةً تَسْلَمُ بِهَا كُلُّ جَارِحَة عَلَى حِيَالِهَا مِنْ تَبِعَاتِكَ، وَتَأْمَنُ مِمَّا يَخَافُ الْمُعْتَدُونَ مِنْ أَلِيْمِ سَطَوَاتِكَ.

اللهمَّ فَارْحَمْ وَحْدَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَوَجِبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ، وَاضْطِرَابَ أَرْكَانِي مِنْ هَيْبَتِكَ، فَقَدْ أَقَامَتْنِي يَا رَبِّ ذُنُوبِي مَقَامَ الْخِزْيِ بِفِنَائِكَ، فَإِنْ سَكَتُّ لَمْ يَنْطِقْ عَنِّي أَحَدٌ، وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ.

اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَشَفِّعْ فِي خَطَايَايَ كَرَمَكَ، وَعُدْ عَلَى سَيِّئَاتِي بِعَفْوِكَ، وَلاَ تَجْزِنِي جَزَائِي مِنْ عُقُوبَتِكَ وَابْسُطْ عَلَيَّ طَوْلَكَ وَجَلِّلْنِي بِسِتْرِكَ، وَافْعَلْ بِي فِعْلَ عَزِيز تَضَرَّع إِلَيْهِ عَبْدٌ ذَلِيلٌ فَرَحِمَهُ، أو غَنِيٍّ تَعَرَّضَ لَهُ عَبْدٌ فَقِيرٌ فَنَعَشَهُ.

اللهمَّ لاَ خَفِيرَ لِي مِنْكَ فَلْيَخْفُرْنِيْ عِزُّكَ، وَلا شَفِيعَ لِيْ إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلُكَ، وَقَدْ أَوْجَلَتْنِي خَطَايَايَ فَلْيُؤْمِنِّي عَفْوُكَ، فَمَا كُلُّ مَا نَطَقْتُ بِهِ عَنْ جَهْل مِنِّي بِسُوْءِ أَثَرِي، وَلاَ نِسيَان لِمَا سَبَقَ مِنْ ذَمِيمِ فِعْلِي، وَلكِنْ لِتَسْمَعَ سَمَاؤُكَ وَمَنْ فِيْهَا، وَأَرْضُكَ وَمَنْ عَلَيْهَا مَا أَظْهَرْتُ لَكَ مِنَ النَّدَمِ، وَلَجَأْتُ إِلَيْكَ فِيهِ مِنَ التَّوْبَةِ، فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَرْحَمُنِي لِسُوءِ مَوْقِفِي، أو تُدْرِكُهُ الرِّقَّةُ عَلَيَّ لِسُوءِ حَالِي فَيَنَالَنِي مِنْهُ بِدَعْوَة أَسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعَائِي، أو شَفَاعَة أَوْكَدُ عِنْدَكَ مِنْ شَفَاعَتِي تَكُونُ بِهَا نَجَاتِي مِنْ غَضَبِكَ وَفَوْزَتِي بِرِضَاكَ.

اللهمَّ إِنْ يَكُنِ النَّدَمُ تَوْبَةً إِلَيْكَ فَأَنَا أَنْدَمُ ٱلنَّادِمِينَ، وَإِنْ يَكُنِ التَّرْكُ لِمَعْصِيَتِكَ إِنَابَةً فَأَنَا أَوَّلُ الْمُنِيبِينَ، وَإِنْ يَكُنِ الاسْتِغْفَارُ حِطَّةً لِلذُّنُوبِ فَإِنِّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ.

اللهمَّ فَكَمَا أَمَرْتَ بِالتَّوْبَةِ وَضَمِنْتَ الْقَبُولَ وَحَثَثْتَ عَلَى الدُّعَآءِ وَوَعَدْتَ الاجَابَةَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاقْبَلْ تَوْبَتِي وَلاَ تَرْجِعْنِي مَرجَعَ الغَيبَةِ منْ رَحْمَتِك إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحِيمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُنِيبِينَ.

اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ كَمَا هَدَيْتَنَا بِهِ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ كَمَا اسْتَنْقَذْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ صَلاَةً تَشْفَعُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَ الْفَاقَةِ إِلَيْكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ وَهُوَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ).[٧٦]

الخاتمة والنتائج :

التوبةُ ركنٌ أساسيٌّ من أركان الإسلام، وهي واجبةٌ على كلِّ مسلمٍ، مهما بلغت خطاياه وذنوبه فاللهُ تعالى رحيمٌ غفورٌ، يُحبُّ التوابينَ ويُقبلُ توبتهم. وكما هي الرجوعُ إلى اللهِ تعالى بعدَ ارتكابِ المعصيةِ، معَ الندمِ عليها والعزمِ على عدمِ العودةِ إليها. وردُّ المظالمِ إن كانَ في الذنبِ حقٌّ للعبادِ.

وكما تُقبلُ التوبةُ من المُسيء إذا رجعَ إلى اللهِ تعالى بصدقٍ وإخلاصٍ.ومن فوائدِ التوبةِ: غفرانُ اللهِ تعالى للذنوبِ، ومحوُها من السجلاتِ، ورفعُ العذابِ عنِ العبدِ في الدنيا والآخرةِ.

ومن خلال ما تقدم توصل إلى بعض النتائج منها:

١- الشعورُ بالسكينةِ والراحةِ النفسيةِ: عندَ معرفةِ الإنسانِ لحقيقةِ التوبةِ، وشروطِها، وفوائدِها، يبدأُ بالشعورِ بالسكينةِ والراحةِ النفسيةِ، لأنّهُ يُدركُ أنّهُ مهما ارتكبَ من ذنوبٍ، فإنّ بابَ التوبةِ

مفتوحٌ أمامهُ، وأنّ اللهَ تعالى سيغفرُ لهُ إذا تابَ توبةً نصوحاً.

٢- الإقبالُ على الدينِ: عندما يُدركُ الإنسانُ عظمَةَ اللهِ تعالى، وعفوهِ ورحمتَهُ، يُصبحُ أكثرَ إقبالاً على الدينِ، وأكثرَ حرصاً على أداءِ العباداتِ والطاعاتِ.

٣- الابتعادُ عن المعاصي: إنّ معرفةَ التوبةِ تُساعدُ الإنسانَ على الابتعادِ عن المعاصي، لأنّهُ يُدركُ أنّ اللهَ تعالى سيحاسبُهُ على كلِّ ما فعلهُ في الدنيا، وأنّهُ لا مفرَّ من عذابهِ إلا بالتوبةِ.

٤- الشعورُ بالأملِ والتفاؤلِ: إنّ معرفةَ التوبةِ تُساعدُ الإنسانَ على الشعورِ بالأملِ والتفاؤلِ، لأنّهُ يُدركُ أنّهُ مهما ارتكبَ من ذنوبٍ، فإنّ اللهَ تعالى سيغفرُ لهُ إذا تابَ توبةً نصوحاً.

٥- تحسينُ العلاقاتِ مع الآخرين: إنّ التوبةَ تُساعدُ على تحسينِ العلاقاتِ مع الآخرين، لأنّ الإنسانَ عندما يتوبُ إلى اللهِ تعالى، ويُصلحُ ما بينهُ وبين الناسِ، فإنّ قلوبَ الناسِ تُصبحُ مُحبّةً لهُ، وتُصبحُ علاقاتهُ بهم أقوى وأمتن.

كما توصلنا إلى بعض التوصيات منها:

١- ينبغي للمسلمِ أن يُسارعَ بالتوبةَ إلى اللهِ تعالى، ولا يُؤجلَها إلى وقتٍ متأخرٍ.

٢- يجبُ على المسلمِ أن يُكثرَ من الاستغفارِ والدعاءِ، وأن يُلازمَ الطاعاتِ والعباداتِ.

٣- ينبغي للمسلمِ أن يُجاهدَ نفسهُ، ويُحاسبَها على أفعالِها، وأن يُحاولَ دائماً أن يكونَ على خيرٍ.

الهوامش والمصادر

(١) لسان العرب: ج١ ، ص ٢٣٣.

(٢) انظر: مجمع البحرين: ج١، ص٣٠٠ حيث قال: والهاء في التوبة قيل: لتأنيث المصدر، وقيل: للوحدة، كالضّربة.

(٣) مفردات غريب القرآن ، الحسين بن محمد المشهور بـ(الراغب الإصفهاني) (ت مطلع القرن السادس الهجري)، دار العلم، ١٤١٢هـ.ق. ص٧٦.

(٤) تاج العروس: ج١ ، ص ١٦٦.

(٥) لسان العرب: ج١ ، ص ٢٣٣.

(٦) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، السيد علي خان المدني الشيرازي، الوفاة: ١١٢٠، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: محرم الحرام ١٤١٥هـ، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي.ص٤٠٤، ومجمع البحرين: ج١ ، ص ٣٠٠.

(٧) جواهر الكلام الشيخ محمد حسن النجفي (ت١٢٦٦هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوچاني، ط٢، ١٣٦٥هـ.ش، المطبعة خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية . طهران. ص ٤١ ، ١١٤.

(٨) كشف المراد كشف المراد، العلّامة الحسن بن يوسف الحلي (ت٧٢٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤٠٧هـ. ص٤٤٤، بحار الانوار ، الجامعة لدرر اخبار الائمة الأطهار ، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي(ت١١١١هـ)، تحقيق وتصحيح: لجنة من العلماء والمحققين والاخصائيين، طبعة منقحة بتعاليق: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة: الاولى ٢٠٠٨م.ج٦ ، ص ٤٣ نقلاً عنه.

(٩) النّافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر ، المقداد السيوري(الوفاة: ٨٢٦هـ)، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٧ – ١٩٩٦ م، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، ملاحظة: الباب الحادي عشر العلامة أبي منصور جمال الدين الحسن بن يوسف الحلي " ٦٤٨ – ٧٢٦ هـ ".ص١٢٧، وجواهر الفقه لابن البرّاج ، (الجواهر في الفقه)، القاضي ابن البرّاج (ت٤٨١هـ)، جامعة المدرّسين، ١٤١١هـ.ق. ص٢٥١.

(١٠) مفردات غريب القرآن: ص٧٦

(١١) مجمع البيان: ج١ ، ص ١٧٦.

(١٢) جامع السعادات ،محمد مهدي النراقي، (ت ١٢٠٩ هـ) تحقيق وتعليق: السيّد محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمّد رضا المظفّر، الطبعة الرابعة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.ج٣ ، ص ٣٨.

(١٣) سورة التوبة: الآيات ١١٧.

(١٤) المكاسب تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق إبراهيم أبو طفيش، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة عام ١٤٠٥هـ.ص٣٣٥.

(١٥) تحف العقول ، عن آل الرسول (صلوات الله عليهم)، الحسن بن علي الحراني، (ت القرن٤ هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٢، ١٣٦٣ش . ١٤٠٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة . إيران. ص ١٤٩.

(١٦) وعلى ضوء هذ النص ونصوص أخرى مطابقة له في الكتاب وعن المعصومينΔتسائل الشيخ الانصاري هل الاستغفار باللسان جزء واجبا في التوبة ام لا؟ وكذلك فعل مثل السيد البجنوردي في القواعد الفقهية، رسالة التوبة: ج٧. والظاهر من كلماتهم انه لا يعتبر جزاء واجبا معها. راجع المكاسب: ص٣٣٥.

(١٧) المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، محسن الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، تحقيق: صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، ط٢، دفتر انتشارات إسلامى وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم. ج ٧، ص٥، مبحث التوبة.

(*) المعصية : اصل المعصية من العصيان قال تعالى (بما عصوا وكانو يعتدون) سورة ال عمران : ١١٢، وقال ابن منظور العصيان خلاف الطاعة ، عصى العبد ربه اذا خالفه امره ، لسان العرب ،ج١٥ : ص٦٣

(١٨) هذه الشروط لم تبحث مستقلة، : ينظر :حديث ابو داود رقم ٤٤٠٣ وهي بحثت في ابواب شتى وفي مناسبات مختلفة، في فقه الإسلام.

(١٩) سورة البقرة: الآية ١٧٣.

(٢٠) تحرير الوسيلة تحرير الوسيلة، السيد الخميني، (الوفاة: ١٤١٠)، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٩٠ هـ ، المطبعة: مطبعة الآداب – النجف الأشرف، الناشر: دار الكتب العلمية.ج ٢، ص ٤٨٢.

(٢١) تحرير الوسيلة: ج٢، ص ٤٧٩

(٢٢) سورة البقرة: الآية٢٨٦.

(٢٣) سورة البقرة: الآية١٧٣.

(٢٤) سورة النحل: الآية ١٠٦.

(٢٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٢٦) سورة النحل: الآية ١٠٦.

(٢٧) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٧٤ ، ص ١٥٣.

(٢٨) سورة النور: الآية٣١.

(٢٩) سورة التحريم: الآية٨.

(٣٠) سورة البروج: الآية١٠.

(٣١) سورة البقرة: الآية١٦٠.

(٣٢) تحرير الوسيلة: ج ١، ص ٤٧٠، مسالة (٥).

(٣٣) تحرير الوسيلة: ج ١، ص ٤٧٠، مسالة (٦).

(٣٤) ينظر : الجامع لاحكام القران،ج٣ : ص٦٠ . ج٨ : ص ١٢٩.

(٣٥) سورة البقرة : ٣٧.

(٣٦) سورة البروج : ١٤.

(٣٧) ينظر : جامع البيان في تاؤيل القران ،ج١ : ص ٥٤٧.

(٣٨) سورة المطففين: الآية ١٤.

(٣٩) البحار: ج ٧٣، ص ٣٣٧.

(٤٠) الكافي: ج٢، ص ٢٧٣.

(٤١) سورة سبأ: الآية ٥٤.

(٤٢) سورة المنافقون: الآية ٩-١١.

(٤٣) جامع السعادات: ج٣، ص ٩١.

(٤٤) جامع السعادات: ج ٣، ص ٥٨.

(٤٥) سورة النور : ٣١.

(٤٦) ينظر : صحيح مسلم بشرع النووي ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، باب التوبة ١٧ / ٢٤.

(٤٧) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق (ع)، (الوفاة: ١٤٨ هـ)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت . لبنان. ص٩٧، ط الاعلمي بيروت.

(*) ينظر صحيح مسلم كتاب الايمان ، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمينه فاجره النار ، ١٥٧/٢

(٤٨) ينظر : دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين ، الملك محمد بن علام الصديقي الاشعري، ص ٧٩.

(٤٩) صحيح مسلم بشرح النووي بكتاب التوبة ،١٦/ ٢١٨ .

(٥٠) ينظر : سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب ذكر التوبة ، ٢/ ١٤٢٠ رقم الحديث ٤٢٥٢.

(٥١) ينظر : فتح الباري ، ابن حجر ، كتاب التوبة ، ٢٣/ ١٢٠.

(٥٢) ينظر : فتح الباري ، ابن حجر ٢٣/ ١٢١ ؛ دليل الفالحين : ٧٩.

(٥٣) جامع السعادات: ج٣، ص٥٠-٥١.

(٥٤) سورة الاسراء: الآية ٢٥.

(٥٥) سورة الشورى: الآية ٢٥.

(٥٦) سورة التوبة: الآية ١٠٤.

(٥٧) سورة غافر، الآية ٣.

(٥٨) سورة البقرة: الآية ١٦٠.

(٥٩) الكافي: ج ٢، ص ٤٣٤.

(٦٠) الصحيفة السجادية ، الإمام زين العابدين، (٩٤هـ)، ط١، ١٤١٨هـ، دفتر نشر الهادي، قم المقدسة. إيران.

دعاء ١٢.

(٦١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٦٢) سورة الانعام: الآية ٥٤.

(٦٣) سورة الملك: الآية ١٤.

(٦٤) سورة الانعام: الآية ٥٤.

(٦٥) سورة طه: الآية ٨٢.

(٦٦) سورة النساء: الآية ١٧-١٨.

(٦٧) سورة النساء: الآية ١٧.

(٦٨) سورة آل عمران: الآية ١٣٥.

(٦٩) سورة النساء: الآية ١١٠.

(٧٠) سورة الانعام: الآية ٥٤.

(٧١) سورة آل عمران: الآية ٩٠.

(٧٢) سورة النساء: الآية ١٨.

(٧٣) أصول الكافي: ج٢، ٤٤٠.

(٧٤) أصول الكافي: ج٢، ص٤٤٠.

(٧٥) سورة النساء: الآية ١٨.

(٧٦) للمزيد ينظر : الصحيفة السجادية دعاء ١٢.

المصادر:

القرآن الكريم

١. بحار الانوار، الجامعة لدرر اخبار الائمة الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، تحقيق وتصحيح: لجنة من العلماء والمحققين والاخصائيين، طبعة منقحة بتعاليق: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٨م.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق، إبراهيم الترزي بالكويت، ط١، ٢٠٠٠.

٣. تحرير الوسيلة تحرير الوسيلة، السيد الخميني، مطبعة الآداب – النجف الأشرف، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٠ هـ.

٤. تحف العقول، عن آل الرسول (صلوات الله عليهم)، الحسن بن علي الحراني، (ت القرن٤ هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة . إيران، ط٢، ١٣٦٣ش-١٤٠٤هـ.

٥. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت ١٩٩٤.

٦. جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، (ت ١٢٠٩ هـ) تحقيق وتعليق: السيّد محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمّد رضا المظفّر، الطبعة الرابعة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.
٧. الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد الحسن التركي، شارك في التحقيق: محمد رضوان عرقسوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت ٢٠٠٦،.
٨. جواهر الفقه لابن البرّاج، (الجواهر في الفقه)، القاضي ابن البرّاج (ت٤٨١هـ)، جامعة المدرّسين، ١٤١١هـ.ق.
٩. جواهر الكلام الشيخ محمد حسن النجفي (ت١٢٦٦هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوچاني، المطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلامية . طهران، ط٢، ١٣٦٥هـ.ش.
١٠. دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين ، الملك محمد بن علام الصديقي الاشعري .
١١. رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، السيد علي خان المدني الشيرازي، (ت١١٢٠هـ)، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط٤، ١٤١٥هـ.
١٢. سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، بيروت (د.ت)، كتاب الزهد باب ذكر التوبة
١٣. سنن ابو داود ، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٦.
١٤. صحيح مسلم بشرع النووي ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، باب التوبة
١٥. الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين(٩٤هـ)، دفتر نشر الهادي، قم المقدسة- إيران ، ط١، ١٤١٨هـ.
١٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز عبد الله بن باز، المكتبة السلفية، (د. ت).
١٧. الكافي ، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (٣٢٩هـ) ، حققه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري ، الناشر دار الكتب الإسلامية ، ط ٥ ١٩٨٤ م
١٨. كشف المراد كشف المراد، العلّامة الحسن بن يوسف الحلي (ت٧٢٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤٠٧هـ.
١٩. لسان العرب، أبي الفضل ابن منظور، اعتنى بتصحيحه : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩

٢٠. مجمع البحرين، العلامة المحقق البارع الشيخ فخر الدين الطريحي، تحقيق: آية الله السيد شهاب الدين النجفي.
٢١. مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، طبعة جديدة منقحة، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ط١، لبنان، ٢٠٠٥.
٢٢. المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، محسن الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، تحقيق: صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري ، دفتر انتشارات إسلامى وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم، ط٢.
٢٣. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق (عليه السلام)، (ت١٤٨ هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت . لبنان. ، ط١٤٠٠،١هـ-١٩٨٠م.
٢٤. مفردات غريب القرآن ، الحسين بن محمد المشهور بـ(الراغب الإصفهاني) (ت مطلع القرن السادس الهجري)، دار العلم، ١٤١٢هـ.ق
٢٥. المكاسب تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق إبراهيم أبو طفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة عام ١٤٠٥هـ.
٢٦. النّافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر ، المقداد السيوري (ت٨٢٦هـ)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٧ - ١٩٩٦ م